سورة القارعة

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

سورة (القارعة) مقصدها الأساسي: تقرير الإيمان باليوم الآخر، وما يتضمنه.

﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ أي الساعة، وسميت بهذا الاسم؛ لأنها تقرع القلوب، ومن المعلوم، أن من أشد موجعات القلب، أن يحس بالقرع.

﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ ؟ هذا الاستفهام للتهويل.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ يعني: ما أعلمك.

﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ كررها لمزيد التهويل. ولا ريب، فما عظمه الله تعالى فهو عظيم، وما هوله الله تعالى فهو هائل.

﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ﴾: هذه الجملة بدل من القارعة. أي القارعة: يوم يكون كذا وكذا.

و(النَّاسُ) هنا، كل الناس.

﴿كَٱلْفَرَاشِ﴾: ليس المراد بالفراش هنا الفراشة المعهودة، وإنما المقصود بالفراش الحشرات المتطايرة، وقيل: الجراد المنتشر، التي تملأ الجو، أو تملأ المكان، متفرقة أوزاعا، أو جرادا مبثوثا، في كل مكان، كما وصف الله ﷻ ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر:7]. فالناس، كل الناس على أديم الأرض، مبثوثون، منشورون، مفرقون، كمشهد الجراد، أو الحشرات المنثورة على صفحة الأرض. والمبثوث أي: المتفرق المنتشر. وقد وصفهم الله في موضع أخر ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج:٤٣]، وكذلك وصفه نبيه ﷺ كما في حديث عَائِشَةَ –

رضي الله عنها – أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَالَ: "يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا"رواه النسائي[1].

﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ ﴾ الجبال الصلدة، الضخمة، الهائلة، الثقيلة، التي قد أرسى الله بها الأرض، تكون ﴿ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾: أي الصوف المندوف، يعني لخفته وتطايره، تتحول هذه الجبال إلى ما يشبه السراب؛ ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [النبأ: ٢٠] من سرعة التسيير، تتحول إلى ما يشبه السراب.

قال الله تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾ [النمل: ٨٨] وقال: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾ [الواقعة: ٦].

﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ ﴾ الفاء جاءت للتفريع، والتقسيم.

(ثَقُلَتْ) يعني: رجحت حسناته، بسيئاته.

(مَوَازِينُهُ) المراد بـ (الموازين): موازين الأعمال. وهذا يدل أن الموازين متعددة، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]

وهي موازين حقيقية، كل ميزان له: لسان، وكفتان. خلافا لما ادعت المعتزلة، من أن المراد بالميزان هو العدل، أو إقامة العدل. وأهل السنة يقولون: بل إقامة العدل تحصل بالوزن الحقيقي، بميزان حقيقي، له لسان، وكفتان ، لكن لا نعلم كيفيته.

وقد دلت عليه النصوص كحديث (صاحب البطاقة) الذي فيه "قَالَ : فَتُوضَع السِّجِلَّات فِي كِفَّة وَالْبِطَاقَة فِي كِفَّة فَطَاشَتْ السِّجِلَّات وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَة"رواه الترمذي[2].

وأما الموزون فيشمل:

- العمل.

- العامل،

---

[1] سنن النسائي (2083) صححه الألباني.

[2] سنن الترمذي (2639)، سنن ابن ماجه (4300)، ومسند أحمد (6994) وصححه الألباني.

- الصحف.

فحديث (البطاقة) يدل على وزن الصحف.

وقول الله تعالى﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾[الزلزلة:٧] يدل على وزن الأعمال.

وقول النبي ﷺ (إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ)متفق عليه[٣] يدل على أن العامل يوزن، ويدل عليه أيضا قول النبي ﷺ في قصة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما (كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مِمَّ تَضْحَكُونَ ؟ قَالُوا : يَا نَبِيَّ اللهِ ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ ، فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ) أحمد في مسنده[٤] .

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ ﴾ يعني: فقد نجا، وفاز.

(عِيشَةٍ) المراد بتلك العيشة: الجنة.

(رَاضِيَةٍ) يعني مُرضية، فهي وإن أتت على صيغة اسم الفاعل (راضية)، فالمراد بها اسم المفعول، أي: مرضية، هانئة، أو هنيئة.

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ ﴾ يعني طاش ميزان حسناته، وثقل ميزان سيئاته.

(﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ ﴾: معنى (فَأُمُّهُ) أي: فمأواه، ومسكنه، ومرجعه، ومنه سميت الوالدة "أما"؛ لأن الولد يأوي إليها، وهذا الذي خفت موازينه، أمه التي يأوي إليها، ومسكنه، ومرجعه، (هاوية)، وهي: (نَارٌ حَامِيَةٌ). وسماها (هَاوِيَةٌ)؛ لأنه يهوي على رأسه فيها.

الفوائد المستنبطة

الفائدة الأولى: شدة وقع الساعة، وهول قيامها.

الفائدة الثانية: إثبات البعث، وصفته، والرد على منكريه.

---

[٣] صحيح البخاري (4729)، صحيح مسلم (2785).

[٤] مسند أحمد (3991) وصححه الألباني في الصحيحة(2750).

الفائدة الثالثة: إثبات الموازين، وكمال عدل الله.

الفائدة الرابعة: إثبات الجنة ونعيمها.

الفائدة الخامسة: إثبات النار وعذابها.

سورة التكاثر

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾

هذه السورة مقصدها الأساس: بيان خطر الغفلة، والاستغراق في الدنيا.

(أَلْهَاكُمُ) أي: شغلكم عن عبادة الله.

(التَّكَاثُرُ) المراد به التفاخر بكثرة الأموال، والأولاد، فهم يتكاثرون في أموالهم، وأولادهم، ويفتخرون بذلك، ويطلبونه، كما قال الله ﷻ ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣﴾ [المدثر:13]

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ يعني: أنكم ما زلتم في هذا اللهو إلى هذه الغاية.

قال الله ﷻ ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد:20]، وهذا بيان لحقيقة الدنيا بصورتها المادية.

فهؤلاء المشركون المنكرون للبعث، طمس قلوبهم، وبصائرهم، انشغالهم بالتكاثر، فهم منهمكون في تحصيل الدنيا، والاستيلاد، والمباهاة، والتفاخر، فلا يدري أحدهم إلا وقد طوي بساط العمر، وأفضى إلى قبره.

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ هذا كناية عن الموت، يعني حتى متم، وحملتم إلى القبور. وقيل زرتموها بأنفسكم!

وقد استنبط منها عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - دليلا على إثبات البعث، وذلك من معنى الزيارة المستفاد من قوله (زُرْتُمُ)، قال: ما أرى المقابر إلا زيارة وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله.[٥]

---

[٥] تفسير ابن أبي حاتم (10/ 3459).

فالإنسان إذا استغرق في الشهوات رشحه ذلك للوقوع في الشبهات؛ لأن صاحب الشهوة حينما يستكثر من الشهوات والمعاصي، يجد تأنيبا فطريا في قلبه، فهو يريد أن يتخلص من هذا الذي يخز ضميره، من الاعتقاد بالبعث، والجنة والنار، فيحمله ذلك على الوقوع في الشبهة، والشك، والتردد في قبول خبر الله، وخبر رسوله ﷺ، كما وقع لصاحب الجنتين حين قال ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الكهف:٣٦] ،أراد أن يسوي الأمر، ويتصالح مع نفسه، بحيث لا يجد غضاضة في ركوب المنكرات، وفعل المحرمات. فالشهوات بريد الشبهات.

(كَلَّا) معناها من حيث الجملة: ليس الأمر كما تزعمون، أو كما تظنون، وهي كلمة ردع – ولا ريب – لكن من المفسرين من يقول (كَلَّا) بمعنى: حقاً، والأول أرجح.

﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ هذه جملة مستأنفة يعني: سوف تعلمون شؤم عاقبتكم، وفساد ظنكم، فهي جملة تهديدية.

﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾ هي – أيضا – جملة تهديدية، وإنما كررها لتأكيد التهديد.

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ ﴾: جوابه: لما اشتغلتم بالتكاثر.

(عِلْمَ الْيَقِينِ) هو العلم المؤكد، الذي لا شك فيه، ولا تردد.

﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ يعني: لو كنتم تعلمون علم اليقين، لعلمتم أنكم سترون الجحيم، وهي النار.

﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ﴾ الدرجة الأولى كانت: علما يقينيا، والدرجة الثانية: يقينا عينيا.

*** والفرق بين (علم اليقين) و(عين اليقين) ؟**

أن الأول: ذهني، والثاني: حسي، بصري.

فمثلا: لو قدرنا أن إنسانا لم يتح له أن يسافر إلى مكة، ويرى الكعبة، لكنه قد تواتر عنده وجود الكعبة، فعلمه بوجود الكعبة، علم يقين، فهومتيقن أن على وجه الأرض مكة، وأن فيها الكعبة.

فإذا أتيح له أن يذهب في حج أو عمرة، ويرى الكعبة بعيني رأسه، فعلمه، حينئذ، بوجود الكعبة، عين اليقين.

فعين اليقين بجهنم، يحصل لمنكري البعث، يوم القيامة.

ولهذا ينبغي للإنسان أن يحقق العلم في كل شيء، وأعظم ما حقق فيه العلم: هو ما يتعلق بالإيمان بالله، وبالغيب حتى كأنه يراه رأي العين، فهذا هو اليقين الذي ينفع صاحبه، ويثبت معه عند الشدائد. فلهذا نجد أن المرء في قبره إذا كان مؤمنا كما قال النبي ﷺ "يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ: رَبِّىَ اللهُ. فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا دِينُكَ فَيَقُولُ: دِينِى الإِسْلاَمُ. فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِى بُعِثَ فِيكُمْ قَالَ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَقُولاَنِ: وَمَا يُدْرِيكَ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ ». وفي رواية : « فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ ﷻ ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾الآيَةَ. قَالَ : « فَيُنَادِى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِى فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ».

قَالَ: « فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا ». قَالَ: « وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ ».

قَالَ: «وَإِنَّ الْكَافِرَ». فَذَكَرَ مَوْتَهُ قَالَ: «وَتُعَادُ رُوحُهُ فِى جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ: مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِى. فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِى. فَيَقُولاَنِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِى بُعِثَ فِيكُمْ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِى. فَيُنَادِى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا». قَالَ: «وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاَعُهُ » رواه أبو داود[٦] .

---

[٦] سنن أبي داود (4755)، مسند أحمد (18534) وصححه الألباني.

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ المقصود بـ(النَّعِيم) هنا ما يلتذ به من لذائذ الدنيا: من المأكل، والمشرب، والمنكح، والصحة، والرفعة، والفراغ، وغير ذلك كل هذه من لذائذ الدنيا.

ويشهد لهذا "حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِى سَاعَةٍ لاَ يَخْرُجُ فِيهَا، وَلاَ يَلْقَاهُ فِيهَا أَحَدٌ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فقال: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ . فقال: خَرَجْتُ أَلْقَى رَسُولَ الله ﷺ، وَأَنْظُرُ فِى وَجْهِهِ، وَالتَّسْلِيمَ عَلَيْهِ . فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ عُمَرُ، فقال: مَا جَاءَ بِكَ يَا عُمَرُ . قال: الْجُوعُ يَا رَسُولَ الله، قال: فقال رَسُولُ الله ﷺ وَأَنَا قَدْ وَجَدْتُ بَعْضَ ذَلِكَ . فَانْطَلَقُوا إِلَى مَنْزِلِ أَبِى الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيِّهَانِ الأَنْصَارِىِّ، وَكَانَ رَجُلاً كَثِيرَ النَّخْلِ وَالشَّاءِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ خَدَمٌ، فَلَمْ يَجِدُوهُ فقالوا لاِمْرَأَتِهِ: أَيْنَ صَاحِبُكِ؟ فقالتِ: انْطَلَقَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا الْمَاءَ . فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ جَاءَ أَبُو الْهَيْثَمِ بِقِرْبَةٍ، يَزْعَبُهَا، فَوَضَعَهَا، ثُمَّ جَاءَ يَلْتَزِمُ النَّبِيَّ ﷺ وَيُفَدِّيهِ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِمْ إِلَى حَدِيقَتِهِ، فَبَسَطَ لَهُمْ بِسَاطًا، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى نَخْلَةٍ، فَجَاءَ بِقِنْوٍ فَوَضَعَهُ، فقال النَّبِيُّ ﷺ أَفَلاَ تَنَقَّيْتَ لَنَا مِنْ رُطَبِهِ . فقال: يَا رَسُولَ الله إِنِّى أَرَدْتُ أَنْ تَخْتَارُوا – أَوْ قال: تَخَيَّرُوا – مِنْ رُطَبِهِ وَبُسْرِهِ . فَأَكَلُوا، وَشَرِبُوا مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ فقال رَسُولُ الله ﷺ: هَذَا وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مِنَ النَّعِيمِ الَّذِى تُسْأَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظِلٌّ بَارِدٌ، وَرُطَبٌ طَيِّبٌ، وَمَاءٌ بَارِدٌ "...الحديث روه الترمذي[٧].

وليس معنى ذلك أنه لا يجوز للإنسان أن يتنعم بالطيبات، لكنه يُسأل عن شكرها، فلابد من شكر النعم، فبقدر ما ينعم الله عليك، قابل هذه النعمة بالشكران، ولن يبلغ الإنسان شكر نعمة الله قطعا؛ لأن نعم الله ﷻ لا يمكن أن تكافأ، حيث إن توفيقك للشكر يعد نعمة، وهذه النعمة تحتاج إلى شكر، فإذا وفقت لشكر النعمة التالية، فقد نشأت نعمة أخرى تحتاج إلى شكر، وهكذا. وأنشد بعضهم:

إذا كان شكري نعمة الله نعمـةً ... علي له في مثلها يجب الشــكر

---

[٧] سنن الترمذي (2369) وصححه الألباني.

فكيف بلوغ الشكر والشكر نعمةٌ ولو طالت الأيام واتصل العمـر

ولكن على الإنسان أن يجتهد في شكر الله ﷻ.

* ويكون بثلاثة أشياء:

1. بالقلب.
2. باللسان.
3. بالجوارح.

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

باليد: واليد كناية عن الجوارح، فيسخر الإنسان جوارحه في طاعة الله، فيكون شاكرا بجوارحه.

وباللسان: فيلهج بشكر نعمة الله ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى:11].

وبالقلب: الذي هو الضمير المحجب، وذلك بأن يمتلئ قلبه ويغتبط بنعمة الله تعالى. وهذا أمر خفيٌ بين الضلوع، فبعض القلوب تكون مغتبطة بنعمة الله، تحس بحلاوة النعمة والشكر، وبعضها تحس بالمرارة، والنقمة. فيجب على العبد أن يشكر الله بقلبه، ولسانه، وجوارحه.

وقد ذم الله الغافلين في مواضع من كتابه. والغفلة نوعان:

1- **غفلة مطلقة**: أن يعرض الإنسان بقلبه عن ربه فلا يرى لله عليه حقاً، ولا يلتفت إلى عبادته، فقلبه معلق بالدنيا ومتاعها. وهذا لا شك أنه كافر، وهو من حطب جهنم. قال تعالى﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩]

2- **غفلة نسبية**: وهي ما قد يعتري بعض أهل الإسلام، من ذهول عارض، وهذا لا يكاد ينفك عنه إنسان، ولكن الناس يتفاوتون فيها، قلةً وكثرةً، فمن الناس من يجاهد نفسه على الذكر، وينال درجة الذاكرين.

وقد عظم الله، ونبيه، شأن الذكر، فقال تعالى﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[العنكبوت٤٥] وقال نبيه ﷺ" أَلاَ أُنبئكم بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إنفاق الذَّهَبِ وَالْوَرِق، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : ذِكْرُ الله "رواه الترمذي، وابن ماجه [٨] .

والذكر: أن يكون الإنسان موصول القلب بالله ﷻ في جميع أحواله، وتقلباته، هذه أعظم العبادات، "ولما جاء أعرابي إِلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ، وقال: يَا رَسُولَ اللهَّ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأخبِرْنِي بشيء أَتَشَبَّثُ بِهِ " يعني بشيء هو جماع العمل الصالح " فَقَالَ لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللهَّ "رواه الترمذي،وابن ماجه [٩] .

فيجب الحذر من التكاثر، لأن التكاثر يؤدي إلى الغفلة، والغفلة تؤدي إلى القسوة. والتكاثر في متاع الحياة الدنيا لا حد له، كما وصف النبي - ﷺ- " قَالَ: لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ، أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللهُّ عَلَى مَنْ تَابَ "متفق عليه [١٠] كناية عن الموت، حينما يُقبر ويبلغ التراب فاه. فعلى الإنسان أن يضع لنفسه حدا، وألا يتمادى ويترك لنفسه العنان، بل يقنع، فالقناعة كنز لا يفنى.

الفوائد المستنبطة

الفائدة الأولى: خطر الغفلة، والانهماك في الدنيا، والتعلق بمتاعها.

الفائدة الثانية: الترابط بين الشهوات، والشبهات.

الفائدة الثالثة: إثبات البعث.

الفائدة الرابعة: وجوب شكر النعم.

---

[٨] سنن الترمذي (3377)،سنن ابن ماجه(3790) صححه الألباني.

[٩] سنن الترمذي (3375)، سنن ابن ماجه (3793) وصححه الألباني.

[١٠] صحيح البخاري (5672)، صحيح مسلم(1050).

الفائدة الخامسة: تفاوت درجات اليقين : (علم اليقين) و (عين اليقين).